المجلد السابع والعشرون للعام ٢٠٢٣م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

اَلْقِيْمَةُ اَلْفَنِيَّةُ لِتَوْظِيْفِ اَلتُّرَاثِ الدِّيْنِي وَالتَّارِيْخِي فِي شِعْرِ اَلْحُرُوْبِ اَلصَّلِيْبِيَّةِ

The artistic value of employing the religious and historical heritage in the poetry of the Crusades

بقلم الدكتورة

سارة إسماعيل عبدالمنعم

قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة جازان ـ المملكة العربية السعودية .

العدد الثالث (إصدار ديسمبر ٢٠٢٣م)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/٢٠٢٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

اَلْقِيْمَةَ اَلْفَنِيَةَ لِتَوْظِيْفِ اَلتُّرَاثِ الدِيْنِي وَالتَّارِيْخِي فِي شِعْرِ اَلْحُرُوْبِ اَلصَّلِيْبِيَّةِ

سارة إسماعيل عبدالمنعم

قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة جازان ـ المملكة العربية السعودية .

البريد الإلكتروني : sarahsara48@yahoo.com

الملخص

تُعدُّ فترةَ الحُروبِ الصَّليبيَّةِ من الفترات التي ظُلِمت ظلمًا كبيرًا؛ لأنَّ معظم الباحثين اعتمدُوا على نتيجةٍ مؤدَّاها أنّ تلك الفترة تُعاني من الجُمودِ الأدبيِّ، ولكن إنْ تعمَّقنا وتركنا تلك النتيجةَ الجاهزة السابقة، وأعدنا قراءة بعض نصوص تلك الفترة سنجدها على قدرٍ عالٍ من الجَودةِ الفنيَّةِ، وهي تحتاجُ إلى دراساتٍ مُفصَّلةٍ؛ لنقفَ على نتائجَ مُهمَّةٍ لتلك المرحلة الأدبيَّةِ، وقد جاء هذا البحثُ ليخلقَ جسرَ تواصُلٍ بين الماضي السَّحيق والماضي القريب، و دور التراث الديني والتاريخي كعاملٍ من عوامل النَّصر في عصر الحروب الصليبية.

أولا :تَوْظِيْفُ التُّرَاثِ الدِّيْنِي (الْغَايَةُ وَالْهَدَفُ). وتناولت فيه الغايات والأهداف من توظيف التراث الديني في شعر جهاد الحروب الصليبية، على النحو الآتي:

١-إِعْلَاءٌ لِكَلِمَةِ اللهِ الَّتي هِي مِنْ أَهَمِّ أَسْبَابِ النَّصْرِ.

٢-إِعَادَةُ تَكْوِيْنِ الْحَاضِرِ عَلَى أُسُسٍ مُنْبَثِقَةٍ مِنْ تَوْظِيْفِ التُّرَاثِ الدِّينيِّ.

٣- إِحْيَاءُ أَخْلَاقِ الْمُجَاهِدِ الْمُنْبَثِقَةِ مِنْ الْمَوْرُوْثِ الدِّينيِّ.

٤- مساندة منبثقة من ركيزة إسلامية للمجاهد العربى.

ثانيا:: تَوْظِيْفُ التُّرَاثِ التَّارِيْخِى فِي شِعْرِ الْحُرُوْبِ الصَّلِيبِيَّةِ: الْغَايَةُ وَالْهَدَفُ.

من خلال عدَّةِ نقاطٍ؛ هي:

١- إِنَارَةُ الطَّرِيقِ أَمَامَ الْمُجَاهِدِ العَرَبيِّ عَلَى أُسُسٍ مُنْبَثِقَةٍ مِنْ تَوْظِيْفِ التُّراثِ التَارِيخي.

٢-إِحْيَاءٌ لأخلاقِ المُجَاهِدِ العربيِّ المُنبثقَةِ مِنْ المَوروثِ التّاريخيِّ.
٣- خَلْقُ رُوْحِ الْمُشَابَهَةِ بَيْنَ الْمَاضِي وَالْحَاضِرِ فِي الثَّبَاتِ وَالإِقْدَامِ.
٤- نُصْرَةٌ لِلْمُجَاهِدِ فِي الْحَاضِرِ فِي إِطَارِ تَخْلِيْدِ الشَّخْصِيَّةِ الْمُجَاهِدَةِ فِي الْحَاضِرِ كَمَا خُلِّدَتْ فِي الْمَاضِي.

وقد انتهي إلى نتيجة مفادها أنَّ التَّوظيفُ التَّاريخيُّ، والتَّوظيفُ الدِّيني؛(سواءً بالألفاظِ أو الأماكنِ أو العَقائدِ) إنَّما جاءَ لِخِدْمَةِ قضيَّةٍ واحدةٍ، وهي الجِهَادُ.

الكلمات المفتاحية: تَوْظِيْفُ التّرَاثِ الدِّيْنِي ، تَوْظِيْفُ التّرَاثِ التّارِيْخِى، شِعْرِ الْحُرُوْبِ الصّلِيبيَّةِ.

The artistic value of employing the religious and historical heritage in the poetry of the Crusades

Sarah Ismail Abdel Moneim
Department of Arabic Language - College of Arts and Humanities - Jazan University - Kingdom of Saudi Arabia.
Email: sarahsara48@yahoo.com

Abstract

The period of the Crusades was one of the periods that were greatly wronged. Because most researchers relied on the conclusion that this period was suffering from literary stagnation, but if we go deeper and leave that previous ready-made conclusion, and re-read some of the texts of that period, we will find them of a high degree of technical quality, and they need detailed studies; Let us stand on the important results of that literary stage, and this research came to create a bridge of communication between the ancient past and the recent past, and the role of religious and historical heritage as a factor of victory in the era of the Crusades.

First: Making use of the religious heritage (the goal and the goal). In it, I dealt with the goals and objectives of employing religious heritage in the poetry of the Crusades, as follows:

1. Upholding the word of God, which is one of the most important reasons for victory.

2. Recreating the present on foundations emanating from the use of religious heritage.

3.Reviving the morals of the Mujahid emanating from the religious heritage.

4.Support emanating from an Islamic foundation for the Arab Mujahid.

Second: Employing the historical heritage in the poetry of the Crusades: the goal and the goal.

through several points; she:

1. Lighting the way for the Arab mujahid on the bases emanating from the employment of the historical heritage.

2.A revival of the morals of the Arab mujahid emanating from the historical heritage.

3.Creating a spirit of resemblance between the past and the present in steadfastness and courage.

4.A victory for the exhaustion in the present in the framework of deduction of the person in the presence in the present, as it was immortalized.

And he came to the conclusion that the historical and religious employment (whether with words, places, or beliefs) came to serve one cause, which is jihad.

Keywords: Employing the religious heritage, utilizing the historical heritage, the poetry of the Crusades.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

تُعَدُّ مَرْحَلَةُ اَلْحُرُوبِ الصَّلِيبِيَّةِ مِنْ اَلْمَرَاحِلِ اَلْحَرِجَةِ التي مَرَّتْ بِهَا الأُمَّةُ العَرَبِيَّةُ والإِسْلَامِيَّةُ، التي شَهِدَتْ صِرَاعًا وَانْقِسَامًا فِي أَرْجَاءِ اَلأُمَّةِ، وَهِيَ أَوَّلُ اِسْتِعْمَارٍ أُورِبِيٍّ لِلْمَنْطِقَةِ العَرَبِيَّةِ والإِسْلَامِيَّةِ – مَعْ أَنَّ اَلْحَرَكَةَ الصَّلِيبِيَّةَ هِيَ ظَاهِرَةٌ تَارِيْخِيَّةٌ مُسْتَمِرَّةٌ؛ لَا تَقْتَصِرُ عَلَى هَذَا النِّطَاقِ الضَّيِّقِ، فَتَخْتَلِفُ آلِيَّاتُهَا بِاخْتِلَافِ كُلِّ عَصْرٍ وَمَرْحَلَةٍ – وَتُعَدُّ مَرْحَلَةُ اَلْحُرُوْبِ اَلصَّلِيبِيَّةِ مِنْ اَلْمَرَاحِلِ التِّي لَمْ تُدْرَسْ بِشَكْلٍ كَافٍ، فَهِيَ بِحَاجَةٍ إِلَى دِرَاسَاتٍ مُكَثَّفَةٍ عَلَى اِخْتِلَافِ مُسْتَوَيَاتِهَا، وَلِشِعْرِ اَلْحُرُوبِ الصَّلِيبِيَّةِ أَثَرٌ بَارِزٌ فِي أَحْدَاثِ اَلْحُرُوْبِ الصَّلِيبِيَّةِ؛ حَتَّى أَنَّهُ كَانَ سببًا فِي اِخْتِلَافِ نَتَائِجِهَا فِي كَثِيْرٍ مِنْ اَلأَحْيَانِ، فَقَدْ نَشَطَ الشُّعَرَاءُ فِي بَعْثِ اَلْحَمِيَّةِ فِي قُلُوبِ اَلْمُجَاهِدِيْنَ، وَاِسْتِنْهَاضِ هِمَمِهِمْ لِلْجِهَادِ، وَاسْتِرْدَادِ مُقَدَّسَاتِهِمْ،كَمَا كَانَ لَهُمْ دَوْرٌ تَارِيْخِيٌّ مُهِمٌّ لَا يُمْكِنُ إِنْكَارُهُ فِي تَسْجِيْلِ اَلْوَقَائِعِ، وَوَصْفِ اَلأَحْدَاثِ، وَمَدْحِ اَلْقَادَةِ، وَتَهْنِئَةِ اَلْمُجَاهِدِيْنَ الَّذِينَ خَاضُوا اَلْحُرُوْبَ بِبَسَالَةٍ، وَدَافَعُوا عَنْ مُقَدَّسَاتِهِمْ بِكُلِّ قُوَّةٍ وَجَرَاءَةٍ، فتوظيفُ التُّراثِ الدِّيني والتاريخي يُمثِّلُ علامَةً بارزةً اكتسبها الشعر في العصر الصليبي –وخصوصًا القَرْنِ السَّادس؛ – لذا كان الوقوف على القيمة الفنية التي اكتسبتها القصيدة جَرَّاء توظيف التراث الديني والتاريخي، ويأتي توظيف تلك الظاهرة كحاجةٍ طبيعيَّةٍ؛ استدعتها الظُّروفُ الرَّاهنةُ التي عاصرها هؤلاء الشُّعراءُ؛ مِمَّا أكسب التراث الديني والتاريخي قيمةً هامَّةً في شعر تلك المرحلةِ.

فعندما تكون مُحتلًّا في أرضك، ويُشنُّ علي دينك هجماتٌ شرسَةٌ، فالشَاعرُ – الذي يملك نفسًا مُرهفةً – يشعرُ بحاجته الشَّديدةِ بأنْ يلجأَ إلى تُراثِهِ؛ يرتكزُ عليه، يجدُ فيه ما يدعمه، ويُعضِّدُهُ في تلك اَلْمُواجهة القاسيَةِ، فقد

أدَّت الظُرُوفُ التي عاشوها في ذلك الوقت دورًا كبيرًا في إثراء تلك الظاهرة في الشعر، وجعلها مُتعدِّدةَ الرَّوافِدِ، مِمَّا أكسب القصائدَ موضعَ الدِّراسةِ قيمةً فنيَّةً عظيمةً، فالشِّعرُ دائمًا مُسايرًا للحياة السياسية والاجتماعيَّةِ، فالشُّعراءُ اعتبرُوا توظيفَ التُّراثِ الدِّيني والتَّاريخي جُزءًا من اَلْمُوائمة للاتجاهات العامة التي تقتضيها الظروف المحيطة، وجديرٌ بالذِّكر القول أنَّ التَّوظيفَ التُّراثي مُرتبطٌ ايجابًا وسلبًا بالظُّروفِ اَلْمُحيطةِ، فكلَّمَا كانت الظُّروفُ اَلْمعيشيَّةُ ذاتَ نظرةٍ سوادويَّةٍ، وظروفٍ حالكةٍ، كان التُّراثُ مُصاحِبًا لهذه الظُّروفِ، حيثُ إنَّهُ اَلْحُضْنُ الدَّافيء الذي يحتمي به، ويكون وسيلةً لضخِّ دماءٍ جديدةٍ في نُفُوسِ هؤلاءِ اَلْمُحبطين، فالتَّاريخُ إذا حُلِّلَ بطريقةٍ موضوعيَّةٍ يكونُ وسيلةً لاستشرافِ اَلْمُستقبلِ، وإعادةِ تكوينِ الحاضِرِ؛ على أُسُسٍ مُنبثقةٍ مِنْ استلهامِ وتوظيفِ تَجارُبِ السَّابقين، وكان القرآن الكريم سبَّاقًا في ذلك، فقد وظَّفَ لنا قِصَصَ السَّابقين، وساقها لنا كتجارُبَ وعِبَرٍ، نستطيعُ من خلالها أنْ نتجاوز عثراتِ السَّابقين، ونَخطُو خُطُواتِ الفَالحين، ونصنعُ مَجدًا مُماثِلًا؛ يُحاكي هذا الذي بَنَاهُ الأَوَّلُون، لذا فإنَّ التُّراثَ يُمثِّلُ قيمَةً فنيَّةً في القصيدةِ، وَيُمثِّلُ بِحَدِّ ذاتِهِ هدفًا وغايَةً، وَبِما أنَّهُ كان للشُّعراءِ غايةٌ وهدفٌ، كان لابُدَّ من تلك الوَقْفَةِ؛ لِنَبْحَثَ القيمَةَ الفنيَّةَ التي أضافها التُّراثُ على القصيدةِ ودوافعه ونتائجه، وما ترتَّبَ عليه هذا التَّوظيف لهذا التراثِ، والغايات والأهداف التي دعت ذلك، ودفعت إليه؛ نقفُ على التَّطوُّر الطَّبعي الذي استدعاه توظيفُ التراث في شعرنا المعاصر، فتوظيفُ التُّراثِ ما هو إلا حَلقةٌ مُتَّصلةٌ، ولا يُمكنُ القول أبدًا بأيِّ حالٍ من الأحوالِ، إنَّ أيًّا من العصور لم يوظفْ فيها التُّراثَ حتى الشعر الجاهلي، فقد كان توظيفُ الألفاظِ والعباراتِ التي هي مُشتقَّةٌ من لغة أجدادهم؛ لذا فإنَّ توظيف التراث في القصيدة له قيمةٌ عظيمةٌ لابُدَّ للكَشْفِ عنها؛ لتنويرِ

الطَّريق أمامَ الشُعراءِ فيما بعد عن تلك القيم الفنية، ليُوظِّفوا تراثهم، فأُمَّةٌ بلا تُراثٍ بلا وجْهٍ بلا هَويَّةٍ، وخصوصًا في ظروفنا اَلْمُعاصرةِ، فنحنُ إذا أنشدنا الآن في تلك الظروف السياسية التي يمرُّ بِها مُجتمعنا القصائد التي نُظِمَتْ ضِدَّ الصَّليبيين واَلْمَجَازرِ التي ارتكبوها؛ كانت فلسطين هي حاضرُنا التي ما زلت تُعانِي مِمَّا هو أقسى وأعتى من الصَّليبيين، إذن اَلْمَاضِي والحاضرُ ما هو إلا تَسلسلٌ وأحداثٌ وأسبابٌ ونتائجُ؛ يترتَّبُ بعضُها على بعضٍ؛ لذا قالوا دائمًا: إنْ وُضِعَ التَّاريخُ في اَلْمِيزانِ جعلَ مِنْ الأمم قادةً وبُناةً، وهكذا هو تُراثُنَا العربيُّ.

وينبغي هنا أن تكون لنا محطات نقف عندها؛ لنتبين الغايات والأهداف

أولا توظيف التراث الديني في شعر جهاد الحروب الصليبية، على النحو الآتي:

١-إِعْلَاءٌ لِكَلِمَةِ اللهِ الَّتي هِيَ مِنْ أَهَمِّ أَسْبَابِ النَّصْرِ:

واعتبر الشَّاعرُ في العصر الصليبي نَفْسَهُ الْمُدافعَ الأولَ عن بَيْضَةِ الإسلامِ، ووسيلةَ للوصُولِ إلى هَدَفِهِ الْمَنشودِ، ونشرِ صورة صحيحةٍ تُؤكِّدُ سَماحَةَ الإسلامِ. ومن ذلك قول **ابن منير الطربلسي في** مدح عماد الدين وإشادته بفتحه الْمُبين للرَّهَا، وأعجب بما له من بُطولةٍ وإقدامٍ:(١) [بحر البسيط التام]

مَلِكٌ تَنَامُ عَنْ الْفَحْشَاءِ هِمَّتُهُ ... تَقِيٌّ وَتَسْهَرُ لِلْمَعْرُوْفِ عَيْنَاهُ

مَا زَالَ يَسْمُكَ وَالأَيَّامُ تَخْدِمُهُ ... فِيْمَا اِبْتَلَاهُ وَتُدْنِي مَا تَوَخَّاهُ

وَقَدْ رَوَى النَّاسُ أَخْبَارَ الْكِرَامِ مَضُوا ... وَأَيْنَ مِمَّا رَوَوْهُ مَا رَأَيْنَاهُ

أَيْنَ الْخَلَائِفَ عَنْ فَتْحٍ أُتِيْحَ لَهُ ... مُظَلِّلٌ أُفْقَ الدُّنْيَا جَنَاحَاهُ

عَلَى الْمَنَابِرِ مِنْ أَنْبَائِهِ أَرَجٌ ... مَقْطُوْبَةٌ بِفَتِيْقِ الْمِسْكِ رِيَاهُ

فَتْحٌ أَعَادَ عَلَى الإِسْلَامِ بَهْجَتَهُ ... فَافْتَرَّ مَبْسَمُهُ وَاهْتَزَّ عِطْفَاهُ

يَهْدِي بِمُعْتَصِمِ اللهِ فَتكتُهُ ... حَدِيْثُها نَسَخَ الْمَاضِي وَأَنْسَاهُ

فإحياءُ الدِّينِ في تلك القصيدة يأتي في عِدَّةِ صُوَرٍ، لعلَّ مِنْ أَهَمِّهَا: أولًا: إنَّ المدح يكون بالتَّمسُّكِ بالقِيَمِ والْمَبادئ الإسلاميَّةِ، وفي ذلك إعطاءُ إشارةٍ للمُتلقِي؛ بأنَّ ما يَستحقُّ الْمَدْحُ حقًّا هو التَّمسُّكُ بتلك القِيَمِ، وعلى قَدْرِ التَّمسُّكِ يأتي المدحُ، وذلك يُعطينا نَحنُ كمتلقِّين- مُسلمين أو غيره – أن نَغُوصَ قليلًا

(١) ديوان ابن منير الطربلسي،(ص٢١٠)، وينظر: عيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي (١/١٤٥)، والدولة الزنكية، للصلابي (ص٢١٧)، وصلاح الدين الأيوبي وجهوده، للصلابي (ص١٢٠).

في الأبياتِ، ونتساءل عن هذا الدِّين الذي يُعتبرُ التَّمسُّكُ به فخرًا للمُنتمين له، فهو دعوَةٌ إلى غيرِ اَلْمُنتمين له بالانْضِمَامِ إليه، والتَّعرُّفِ عليه أكثر، وأيضًا دعوةٌ للمُسلمين بأنْ يكونوا خيرَ سُفراءٍ لهُ، فيتمسَّكُوا بِما يَجلبُ لهم اَلْمَدْحَ، فإحياءُ الدِّين يكونُ من خلالِ اَلْمُنتمين له، ومدى قدرتهم على نشرِ صُورةٍ صحيحةٍ لِهَذَا الدِّين؛ تكون مُشرفةً للقريبِ والبعيدِ، وهذا الشِّقُّ هو الذي اتَّبعه شُعراءُ هذا العَصْرِ بمدحِ الوُلَّاةِ والخلفاءِ وقادةِ الجيوشِ بِهذا؛ كي يُنمُّوا بداخلهم تلك المسئولية الدينية التي يجب أن يتحلُّوا بِها، ومن صورِ إحياءِ الدِّين أيضًا في الأبياتِ السَّابقةِ اعتبارُ الانجازاتِ التي حقَّقها **عماد الدين**؛ابتغاء مرضاة الله أولًا، ونُصرةً للإسلام ثانيًا.

فالطربلسي يقولُ (فتحٌ أعاد على الإسلامِ بَجهته)، فالشَّاعِرُ نَسَبَ النَّصْرَ إلى الإسلامِ، وكأنَّ مُرادَ القائدِ في الأولِ والآخرِ هو نُصْرَةُ الدِّينِ، وإعادة البَسْمَةُ إلى ثَغْرِهِ، فالإسلامُ يحثُّ على الدِفاعِ عَنْ الأوطَانِ، وحفظِ الأَعْرَاضِ، فانتصارُ القَادَةِ هذا يشعرُ الإسلامِ بالرضا –مجازيًّا– ويُحقِّقُ مُرادَ الله في أرضه، فكُلُّ تلك المعاني معانٍ إحيائيَّةٌ لروح الإسلام ومبادئه، وترسيخُ ثقافته وما دعا إليه؛ من خلال الشعر.

٢- إِعَادَةُ تَكْوِيْنِ اَلْحَاضِرِ عَلَى أُسُسٍ مُنْبَثِقَةٍ مِنْ تَوْظِيْفِ اَلتُّرَاثِ الدِّينِيِّ:

وظهر ذلك جليًا في شعر عصر الحروب الصليبية،ومنه قول **ابن الساعاتي**:[بحر المتقارب التام]

فَدَتْكَ اَلْمُلُوْكُ وَأَيَّامُهَا	**وَدَامَ لِنَقْضِكَ إِبْرَامُهَا**(١)
وَذَلَّتْ لِعِيْشَتِكَ أَقْدَامُهَا	**وَزَالَ لِبَطْشِكَ إِقْدَامُهَا**

(١) ديوانه،(ص١٢٠)، وينظر: الروضتين، لأبي شامة المقدسي (٤٢/١)، وعيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي (١٣٢/١)، والدولة الزنكية، للصلابي (ص١١٩).

أَيَا مُحيِى العدل لَمَّا نَعَا ... هُ أَيَّامِى البرَايَا وَأَيْتَامُهَا
وَمُسْتَنْقِذَ الدِّيْنَ مِنْ أُمَّةٍ ... أَزَالَ الْمَحَارِيْبُ أَصْنَامَهَا
جَزَرْتَ جَزِيرتَها بِالسُّيُو ... ف حتَّى تَشَاءَمَهَا شَامُهَا

فتشخيصُ الإسلامِ في صورةِ إنسانٍ يشعرُ بِما يجري لأبناءه من فَـرْحٍ وقَرْحٍ حتَّى أنَّهُ يُحي ويموتُ؛ وِفْقًا لأفعالِ أبنائهِ، وقد كان **صلاح الـدين** هـو ذاك الصَّدرُ الحاني للإسلامِ، يُعلي قَدْرَ الأيتامِ والأراملِ،يدفع عـنهم أوجـاعَ الزَّمَانِ،وما رُمُوا به، فعبارةُ محيي الإسلام تحمل إيحاءاتٍ وإشاراتٍ كثيـرةً؛ منها: تفاعُلُ الإسلامِ – ككائنْ حيٍّ – مع مُريديه)، فإحياءُ قِيَمِهِ ومَبَادِئِهِ بِمثابَةِ إيحاءٍ له، وإعطائه قُبْلَةَ الحياةِ التي تَضْمَنُ بقاءَهُ وخُلُودَهُ وحِفْظَهُ.

ومنه أيضًا **قول ابن منير** يمدح نور الدين:(١) [بحر السريع]

أَلْبَسْتَ دِيْنَ مُحَمَّدٍ يَـا نُـوْرَهُ ... عِزًّا لَهُ فَوْقَ السُّـهَا آسَـادُ
مَا زِلْتَ تَشْـمَلُهُ بِمِيَّـادِ الْقَنَـا ... حَتَّى تَثَقَّفَ عُـوْدُهُ الْمِيَّـادُ
لَمْ يَبْقَ مُذْ أَرْهَفتَ عَزْمَكَ دُوْنَهُ ... عَدَدٌ يرَاع بِه ولا اسـتِعْدادُ
إِنَّ الْمَنَابِرَ لَـوْ تَطِيْـقُ تَكَلُّمَـا ... حَمَدَتْكَ عَنْ خُطَبَائِهَا الأَعْوَادُ

ومنه أيضًا قول **ابن سناء الملك** في مدح صلاح الدين:(٢) [بحر الطويل]

مَلَكْـتَ أَقَـالِيْمَ الْمُلُـوْكِ وَإِنَّمَـا ... سَهِرْتَ وَأَمْلَـاكَ الأَقَـالِيْمِ نُـوَّمُ
طَلَعْتَ عَلَيْهِمْ بِالصَّبَاحِ مِنْ الظِّبَا ... يُحِيْطُ بِهِ لَيْلٌ مِنْ النُّقْـعِ مُظْلِـمُ
فَسَاءَ صَـبَاحَ الْمُنْـذِرِيْنَ لأَنَّـهُ ... صَبَاحٌ بِهِ زُرْقُ الأَسِـنَّةِ أَنْجُـمُ
وَجَيْشٌ بِهِ أَسَدُ الْكَرِيْهَةِ غُضَّـبُ ... وَإِنْ شِئْتَ عُقْبَانَ الْمَنِيَّـةِ حُـوَّمُ

(١) ديوان ابن منير(ص١٠٥)، وينظر: الكامل في التاريخ، لابن الأثير (٦١/٥)، وعيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي (٣٢٤/١).
(٢) ديوان ابن سناء الملك،(ص١٩١).

أَلْقَيْتَ دِيَارَ اَلْكُفْرِ غَزْوًا فَقَدْ غَدَا جَوَادُكَ إِذْ يَأْتِي إِلَيْهَا يُحَمْحِمُ
وَمَا يَعْصِمُ اَلْكُفَّارَ عَنْكَ حُصُونُهُمْ وَلَا شَيْءٌ غَيْرُ اللهِ بَعْدَكَ يَعْصِمُ

فيأتي التَّوظيفُ هنا في عِدَّةِ صُوَرٍ ترتكزُ على المدحِ بالصِّفَاتِ الإسلاميَّةِ التي تُؤَصِّلُ للقِيَمِ وَاَلْمَبَادِئِ الدِّينيَّةِ، ثُمَّ استلهامِ صورةٍ من الصُّورِ القرآنيَّة، وهي قوله تعالى:﴿**فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ**﴾[1]، ويبدو أنَّ اَلْمنفذ الديني هو اَلْمَعينُ الذي لا ينضبُ في إمدادِ الشُّعراءِ بكُلِّ الصُّوَرِ وَاَلْمَعَاني التي يريدون أنْ يُعبِّروا عنها، وتعجزُ قرائحهم عنه، ولايجدون إلا القرآنَ؛ كمددٍ خِصْبٍ للتَّعبيرِ عَنْ ذلك، وفي ذلك إعلاءٌ وإحياءٌ للدِّينِ بصُوْرَةٍ ظاهرةٍ يؤدِّي فيها الشَّاعرُ دورًا مُزدوجًا، حيثُ يُعبِّرُ عن نفسه من جهةٍ؛ مُوظِّفًا تُرُاثُهُ الدِّيني، وفي ذلك نُصرةٌ لدينِهِ وقضيَّتِهِ، ومن الجهَةِ الأُخْرَى فإنَّ توظيفَ التُّراثِ الدِّيني يُضْفِي على القصيدة قدسيَّةً خاصَّةً، وتجدُ صداها لدى المتلقِّي؛ لأنَّ الظُّروف التي عاصروها هي ظروفٌ استثنائيَّةٌ، حيثُ إنَّها حروبٌ مُتَّصلةٌ ضِدَّ الإسلامِ؛ لذا فهم يَعتزُّون بعروبتهم وإسلامهم، فهي حربُ هويَّةٍ، بين هويَّةٍ مُسلمةٍ، وهويَّةٍ صليبيَّة، لذا فإنَّ إكسابَ القصيدةِ رونقًا دينيًّا يُضيفُ إليها قيمةً فنيَّةً؛ لذا سعى الشُّعراءُ إلى إضفاء تلك القيمَةِ على قصائدهم. ومن ذلك أيضًا قول **عمارة اليمني**: [2][بحر البسيط]

يَارَبِّ إِنِّي أَرَى مِصْرًا قَدْ اِنْتَبَهَتْ لَهَا عُيُوْنُ اَلأَعَادِي بَعْدَ رَقْدَتِهَا
فَاجْعَلْ بِهَا مِلَّةَ اَلإِسْلَامِ بَاقِيَةً وَاحْرُسْ عُقُوْدَ اَلْهُدَى مِنْ حِلِّ عُقْدَتِهَا
وَهَبْ لَنَا مِنْكَ عَونًا نَسْتَجِيْرُ بِهِ مِنْ فِتْنَةٍ يَتَلَظَّى جَمْرُ وَقْدَتِهَا

---

(١) سورة الصافات، الآية:١٧٧.

(٢) انظر: النكت العصرية، لعمارة اليمني (١/١٩٠)، واتعاظ الحنفا، للمقريزي (٣/٢٩٩).

فلا يخفى ما في تلك الأبيات من لوعَةٍ ظاهرةٍ، تُؤكِّدُ الفِكْـرَةَ السَّـابقَةَ، وهي اَلْهَويَّةُ الإسلاميَّةُ، فقولُ الشَّاعرِ:(فاجعلْ بِها مِلَّةَ الإسلامِ باقيةً) تُبيِّنُ لنـا تلك الحالةَ القلقَةَ اَلْمُضطربَةَ التي يعيشُها الشَّاعرُ؛ من الخوفِ علي الهويَّةِ، فقد كان الصَّليبون يُحاولون بشتَّى الطُّرُقِ مَحْوَ تلك اَلْهويَّـةَ؛ مـن خـلالِ هـدمِ اَلْمَسَاجِدِ، وإهانة اَلْمَصَاحِفِ – وما أشبه اليوم بالبارحَةِ – لذا فهو يتوجَّهُ إلـى الله بالدُّعاءِ؛ أنْ يحفظ لنا هَذَا الدِّينَ الذي يحفظنا، ويدعُو بأنْ يرزقنا اللهُ مَـنْ يُذهبَ تلك الفِتنةَ، فقد كان اليمني مُدركًا لهذا الخَطَرِ اَلْمُحدق بِهم؛ مـن نَخـرِ الصَّليبيين في جسدِ الأُمَّةِ، ومُحاولةِ زَرْعِ اَلْفِتَنِ، وتفريقٍ بين الـبِلادِ، ومِـنْ استجابَةِ اَلْمُسلمين له؛ لذا فإنَّهُ يبثُّ حُزْنَهُ وشَكْوَاهُ إلى الله؛ لعلَّ الله يحفظُ الأُمَّةَ بِهذا الدُّعاءِ، وتَأتي تلك الأبياتُ مِنْ بابِ نَشْرِ الثَّقافَةِ الإسلاميَّةِ اَلْمُتمثِّلَـةِ فـي الدُّعَاءِ..ومن ذلك أيضًا قـول **عمـاد الـدين** فـي مـدح صـلاح الـدين الأيوبي:[1][بحر البسيط]

قَدْ جَاءَكَ النَّصْرُ وَالتَّوْفِيْقُ فَاصْطَحَبَا	**فَكُنْ لِأَضْعَافِ هَذَا النَّصْرِ مُرْتَقِبَا**
للهِ أَنْتَ صَـلَاحُ الـدِّيْنِ مِـنْ أَسَـدٍ	**أَدْنَى فَرِيْسَـتَه الْأَيَّـام إِنْ وَثَبَـا**
هَذَا الَّذِي نَصَرَ الْإِسْـلَامَ فَاتَّضَـحَتْ	**سَبِيْلُهُ وَأَهَـانَ الْكُفْـرَ وَالصُّـلُبَا**
وَيَوْمَ شَاوَرَ وَالإِيمانُ قَـدْ هُزِمَـتْ	**جُيُوْشُهُ كَانَ فِيهِ الْجَحْفَلُ اللُّجُبَـا**

وتأتي تلكَ الفكرةُ مُكمِّلةً للفِكرةِ السَّابقةِ، حيثُ ربطَ نَصْرَ الممدوح بنصرِ الإسلامِ؛ لإعلاءِ قيمةِ اَلْممدوحِ، بربطِهِ بالإسلامِ، وتمجيدِ بطولته، فـي تلـك المعركة اَلْمُتَّصلةِ بالهويَّةِ، ويرى الشَّاعرُ أنَّ صلاح الدين هو اَلْمُنير لطريـق الإسلامِ، واَلْمُمهد السَّبيل لانتشار أمته، وهو واهبٌ لله عمره وحياته وجهـاده،

(١) ديوان ابن منير الطربلسي،(ص١٠٩)، وينظر: الروضتين، لأبي شامة المقدسي (/٢٥٥)، وعيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي (٢/٣٤٥).

وشَبَّهه بالضُّرغامِ الشَّديدِ الذي يُدافِعُ عن الإسلامِ، ويذودُ عنه بكُلِّ ما مَلَكَ، ثُمَّ يأتي البيتُ الأخيرُ؛ ليقولَ: إنَّ المعركةَ لم تكُنْ معركةَ أرضٍ، وإنَّما هي معركةٌ بين الإيمانِ والكُفْرِ، وقد حَسَمَها صلاحُ الدِّين بانتصارِ الحقِّ على الباطل، ورفع قدر الإيمان على الكُفْرِ، فهو إحياءٌ للدِّين، من خلال الأفعالِ والانتصاراتِ اَلْمُوثَّقةِ اَلْمَنسوبَةِ إلى الإسلامِ، وأيُّ رفعة تكون خيرًا من ذلك؛ ورسول الله – ﷺ – يقول:«**ذروةُ سَنَامِ اَلإِسْلَامِ اَلْجِهَادُ**»[1].

٣- إِحْيَاءُ أَخْلَاقِ اَلْمُجَاهِدِ اَلْمُنْبَثِقَةِ مِنْ اَلْمَوْرُوْثِ اَلدِّينيِّ.

ومن ذلك توظيفُ مبدأٍ من مبادئ الثقافة الإسلامية، كما في قول العماد الأصفهاني: [2] [بحر الطويل]

تَوَكَّلْ عَلَى اَللهِ الَّذِي لَكَ أَصْبَحَتْ كَلَاءَتُهُ دِرْعًا وَعِصْمَتُهُ تِرْسَا

فالتَّوكُّلُ على الله من أُصُولِ العقيدةِ الإسلاميَّةِ، وقد ذكرها الله سبحانه وتعالى في عِدَّةِ آياتٍ؛ منها قوله سبحانه وتعالى:﴿**وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ**﴾[3]، فتوظيفُ تلك الأصول الإسلامية يُساعدُ على إحيائها داخلَ النُّفوسِ، والشَّاعِرُ هنا وقفَ موقفَ الدَّاعيَةِ الإسلامي – وإن لم يكنْ دوره – ولكنَّها ضرورةٌ استدعتها الظُّروفُ التي عاشوا فيها؛ لذا نجدُ الأصول الإسلامية مُبعثرةً في جَنَبَاتِ القصائدِ كَضَرُوْرةٍ مُلحَّةٍ، ودعوةُ صلاح الدين للتَّوكُّلِ على الله يدخلُ بِمُقتضاها العامَّةُ فيتوجَّهُوا للجهاد وبذلِ النَّفسِ؛ متوكلين على الله، فالبيت الشعري حثٌّ على النَّفيرِ العام بصورةٍ خفيَّةٍ، مُتمثِّلٌ في حثِّ القائدِ

---

(١) الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده (٣٦/٣٧٥/حديث رقم:٢٢٠٥١)، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٨/٢٢٣/ حديث رقم: ٧٨٨٥).

(٢) ديوان العماد الأصفهاني،(ص٢١٣)، وينظر: عيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي (٣/٣٦٣).

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٥٨.

والعامَّةِ في إطاره الذين يسعون لنيل رضا الله، فالفكرةُ هنا مُركِّزَةٌ على أنَّ الجهادَ مرضاةٌ لله، وتوكُّلٌ عليه، فمَنْ يبتغيه ويشتري الجنة؟!

ومن ذلك أيضًا قول **ابن الساعاتي** في مدح صلاح الدين:(١) [بحر الوافر التام]

جَلَتْ عَزَمَاتُكَ الْفَتْحَ الْمُبِينَا فَقَدْ قُرَّتْ عُيُونُ الْمُؤْمِنِينَا
رَدَدْتَ أَخِيذَةَ الإِسْلَامِ لَمَّا غَدَا صَرْفُ الْقَضَاءِ بِهَا ضَمِينَا
فَضَضْتَ خِتَامَهَا قَسْرًا وَمَنْ ذَا يَصُدُّ اللَّيْثَ أَنْ يَلِجَ الْعَرِينَا
قَضَيْتَ فَرِيضَةَ الإِسْلَامِ مِنْهَا وَصَدَقْتَ الأَمَانِي وَالظُّنُونَا
تَهُزُّ مَعَاطِفَ الْقُدْسِ ابْتِهَاجًا وَتَرْضَى عَنْكَ مَكَّةَ وَالْحُجُونَا
فَلَوْ أَنَّ الجِمَادَ يَطِيقُ نُطْقًا لَنَادَتْكَ ادْخُلُوهَا آمِنِينَا
فَكُنْتَ كَيُوسُفَ الصِّدِّيقِ حَقًّا لَهُ هَوَتْ الْكَوَاكِبُ سَاجِدِينَا
وَإِنْ تَكُ آخِرًا وَخَلَاكَ ذَمٌّ فَإِنَّ مُحَمَّدًا فِي الآخِرِينَا

ومن المدحِ بالصِّفَاتِ الإسلاميَّةِ التي يظهر من خلال هذا المدح القيم والمبادئ الإسلامية **قول الشَّاغوري**:(٢)[بحر الكامل التام]

لَا يَعْدِمَنَّكَ الْمُسْلِمُونَ فَكَمْ يَدٍ أَوْلَيْتَهُمْ مَعْرُوفَهَا لَمْ يُنْكَرِ
أَمَّنْتَ سِرْبَهُمُ وَصُنْتَ حَرِيمَهُمْ وَدَرَأْتَ عَنْهُمُ قَاصِمَاتِ الْأَظْهُرِ
مَا إِنْ رَأَكَ اللهُ إِلَّا آمِرًا فِيهِمْ بِمَعْرُوفٍ وَمُنْكَرٍ مُنْكِرِ
مُتَوَاضِعًا للهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَبِكَ اضْمَحَلَّتْ سَطْوَةُ الْمُتَكَبِّرِ

(١) ديوانه،(ص٢٥٠)،وينظر: النجوم الزاهرة، لابن تغري (٣٤/٦)، وعيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي(٣٠٥/٣)، وصلاح الدين الأيوبي وجهوده، للصلابي (٥٢٤/١).

(٢) ديوان فتيان الشاغوري ،(ص٢٢٩)، وينظر: عيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي (٣٠٤/٣)، وصلاح الدين الأيوبي وجهوده، للصلابي (٥٢٤/١).

فاستهلَّ **الشَّاغوري** مَدْحَهُ بالدَّعوةِ لصلاح الدين؛ بأنْ يظلَّ رافعًا لرايةِ الإسلامِ دائمًا، ويُعطيه اللهُ العمرَ اَلْمَديدَ؛ لتحقيق ذلك، ثُمَّ سبَّب تلك الدعوة بأنَّ صلاح الدين أمَّنَ اَلْمسلمين في سِرْبِهِمْ، وذلك من قول الرسول ﷺ:«**من بات آمنا في سربه**»[1]، وصان أعراضهم، ونهى عن المنكر وأمر بالمعروف، وذلك من قوله تعالى:﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**﴾[2]، ثُمَّ أكمل التَّسبيب، وقال: إنَّه مُتواضعًا، وفي ذلك تخلُّقٌ بخلُقٍ من أخلاق الإسلامِ، فالرَّسُولُ -ﷺ-:«**لايدخل الجنة من كان في قلبه مقدار حبة من كبر**»[3]، فالشَّاعرُ دَمَجَ في الأبيات الشعرية عِدَّةَ قِيَمٍ دينيَّةٍ إسلاميَّةٍ، يهدف منها مدحَ صلاح الدين أولًا، وإحياءً لبعضِ الأخلاق التي تنبثقُ من الثقافة الإسلاميَّةِ، وذلك بغرضِ الإحياءِ ونشرها في المجتمع، من خلال مدح القائد بها فتخلق العامة بها .

وتعدُّدُ الأشكالِ الفنيَّةِ التي يتَّضحُ من خلالها القيمةُ الفنية لتوظيف التراث الديني في شعر االحروب الصليبية، وقد كثرت آلية إحياء الدين الإسلامي من خلال هدم عقيدة الصَّليبيين، ومن ذلك قول **أسامة بن منقذ**:[4] [بحر الخفيف التام]

إِنَّ ظَنِّي وَالظَّن مِثْلُ سِهَامِ الرَّمْيِ مِنْهَا اَلْمُخْطِي وَمِنْهَا الْمُصِيبُ

---

(١) الحديث رواه الترمذي في سننه (٤/٥٧٤/حديث رقم:٢٣٤٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/٢٩٣/حديث رقم:١٠٢٥٨).

(٢) سورة آل عمران، الآية:١١٠.

(٣) الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده (٦/٣٣٨/حديث رقم:٣٧٨٩)، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٦/٢٨٣/ حديث رقم:٦٥٢٨).

(٤) ديوان أسامة بن منقذ،(ص١٦٥)، وينظر: الروضتين، لأبي شامة المقدسي (١/١١٦)، وعيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي (١/٣٣٨).

إِنَّ هَذَا لِأَنْ غَدَتْ سَاحَةُ الْقُدْسِ ... وَمَا لِلْإِسْلَامِ فِيهَا نَصِيْبُ
نَزَلَتَ وَسَطَهُ الْخَنَازِيرُ وَالْخَمْرُ ... وَبَارَى النَّاقُوْسُ فِيهِ الصَّلِيبُ
لَو رَآهُ الْمَسِيحُ لَمْ يَرْضَ فِعْلًا ... ذَكَرُوا أَنَّهُ لَهُ مَنْسُوبُ
أُبْعِدَ النَّاسُ عَنْ عِبَادَةِ رَبٍّ ... النَّاسِ قَوْمٌ إِلَهُهُمْ مَصْلُوْبُ
وَلَعَمْرِي إِنَّ الْمُنَاصِحَ لِلدِّيْ ... نِ عَلَى اللهِ أَجْرُهُ مَحْسُوْبُ
وَجِهَادُ الْعَدُوِّ بِالفِعلِ وَالْقَوْ ... لِ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ مَكْتُوْبُ
وَلَكَ الرُّتْبَةُ الْعَلِيَّةُ فِي الأَمْ ... رِينِ مُذْ كُنْتُ، إِذْ تَشِبُّ الْحُرُوبُ
لَكَ رَأْيٌ مُذَقَطُّ، إِنَّ ضَعفَ الرَّأْ ... يِ عَلَى حَامِلِي الصَّلِيْبِ صَلِيْبُ
وَلِجمعِ الْحُشُودِ مِنْ كُلِّ حِصْنٍ ... سَلَبٌ مُهمَلٌ لهم ونُهوبُ
وَبِحَوْلِ الإِلَهُ ذَاكَ وَمَنْ غَا ... لِبٌ رَبِّي فَإِنَّهُ مَغْلُوْبُ

فالشَّاعرُ هنا هدم العقيدة الصَّليبية، بل قرَّر أنَّهم أبعدُ النَّاسِ عَنْ ربِّ النَّاسِ؛ لأنَّ مَنْ يعبدونه مصلوبٌ وضعيفٌ؛ لم يقوَ على الدِّفاعِ عن نفسه !!! وأنَّهم بعدُوا عن المسيحية الحقَّةِ التي يدين بها المسلمون، ولم يكن هدمُ العقيدةِ مُجرَّدًا من الغرضِ، وإنَّما كان من أجلِ إحياءِ العقيدَةِ الإسلاميَّةِ، والانتصار لها، وصولًا إلى الجهاد من أجل هذا الدين، فقد قرَّر فيما يلي من الأبيات دعوتهم إلى الجهادِ، فتبرز القيمة الفنية لإحياء التراث الإسلامي هنا في توظيف هذا الإحياءِ؛ من أجل تقوية أواصر الْمُجاهدين، وتقوية عزائمهم من أجل التَّخلُّصِ من أولئك الْمُخالفين والْمُعاندين لشرع الله، وقد ختم قصيدته بأنَّ الله سبحانه وتعالى إذا كان مع فئةٍ، فهي الفائزةُ الغالبةُ بإذنه ومشيئتِهِ، فكأنَّهُ يَرْبِتُ على كَتِفِ كُلِّ مُجاهدٍ: لا تَحزنْ إنَّ الله معنا.

ومن باب إحياء الدين كهدف وغاية للتوظيف الديني مدح ولاة الأمر بالصفات الإسلامية من أجل حثِّهم علي استكمال مسيرةِ دحرِ الصَّليبيين يقول أسامة بن منقذ:(١) [بحر الخفيف التام]

كُلَّ يَوْمٍ فَتْحٌ مُبِيْنٌ ونَصْرُ ... وَاعْتِلَاءٌ عَلَى الأَعَادِي وقَهْرُ
قَدْ أَتَاكَ الزَّمَانُ بِالْعُذْرِ وَالإِعْتَاب ... مِمَّا جَنَاهُ إِذْ هُوَ غَرٌّ
صَدَقَ النَّعْتُ فِيْكَ أَنْتَ ... مُعِيْنُ الدِّيْنِ إِنَّ النُّعُوتَ فَأَلْ وَزَجْرُ
أَنْتَ سَيْفُ الإِسْلَامِ حقًّا فَلَا فَلَّ ... غِرَارِيْكَ أَيُّهَا السَّيْفُ دَخْرُ
بِكَ زَادَ الإِسْلَامُ يَا سَيْفَهُ ... الْمُخَذَّم عِزًّا وَذَلَّ شِرْكٌ وَكُفْرُ
لَمْ تَزَلْ تُضْمِرُ الْجِهَادَ مُسِرًّا ... ثُمَّ أَعْلَنْتَ حِيْنَ أَمْكَنَ جَهْرُ
أَمِنَ الْعَدْلِ أَنَّنَا فِي بِلَادِ الْكُفْرِ ... شَفْعٌ وَأَنْتَ فِي الْغَزْوِ وِتْرُ
كَانَ حَظِّي مِنْ ذَاكَ ذِكْرًا شَنِيْعًا ... ثُمَّ مَا لِي فِيْمَنْ يُجَاهِدُ ذِكْرُ

وقد يكون الغرض من التَّوظيف الديني هو الخوفُ علي العقيدةِ من الضَّياعِ، فينبِّهُ الشَاعِرُ إلى ذلك، ويوظِّف في شعره ما بين هذا الغرضِ؛ يقول **عمارة اليمني**:(٢) [بحر البسيط]

يَا رَبِّ إِنِّي أَرَى مِصْرَ قَدْ انْتَبَهَتْ ... لَهَا عُيُوْنُ اللَّيَالِي بَعْدَ رَقْدَتِهَا
فَاجْعَلْ بِهَا مِلَّةَ الإِسْلَامِ بَاقِيَةً ... وَاحْرُسْ عُقُوْدَ الْهُدَى مِنْ حَلِّ عُقْدَتِهَا
وَهَبْ لَنَا مِنْكَ عَوْنًا نَسْتَجِيْرُ بِهِ ... مِنْ فِتْنَةٍ يَتَلَظَّى جَمْرُ وَقْدَتِهَا

---

(١) ديوانه (ص٣٦١)، وينظر: الروضتين، لأبي شامة المقدسي (٧٣/١)، وعيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي (٢٢٢/١)، والوافي بالوفيات، للصفدي (٢٣٤/٩).

(٢) انظر: الروضتين، لأبي شامة المقدسي (١٢٣/٢)، واتعاظ الحنفا، للمقريزي (٢٩٩/٣)، والنكت العصرية، لعمارة اليمني (١٩٠/١).

٤- مساندة منبثقة من ركيزة إسلامية للمجاهد العربي:

وقد اعتبر كثيرٌ من الشُّعراء أنَّ مقاومةَ الغُزَاةِ والانتصارَ عليهم هو انتصارٌ للتَّوحيدِ، ونصرًا للإرادةِ، لذلك قال **ابن سناء الملك** لصلاح الدين:(١) [بحر الطويل]

أَقَمْتَ بِهَا اَلتَّوْحِيْدَ لله وَحْدَهُ وَأَنْسَيْتَ فِيْهَا اَلرُّوْحَ وَالأَبَ وَالابْنَا

فقد كان من الطَّبعي أنْ يُوظِّفُوا التراث الديني إعلاءً لكلمة الله التي هي من أسباب النَّصرِ، وقد ظهر هذا في اهتمام الشعراء بقضيَّةِ الأُمَّةِ اَلْمَصيريَّةِ والتفافهم حول القادة المسلمين، ليس في منطقة الصِّراعِ فقط، بل حيثما كانوا في ديار الإسلامِ، إذ راح الشعراء يُخفِّفون من أثر الهزيمة حين تقعُ،ويُشيعون أنباءً عن الانتصارات بطريقةٍ مُثيرةٍ، ويرسمون طريقة الخلاصِ مِنْ الاحتلال الأجنبيِ، فيدعون للوحدة والجهاد معًا، ويربطون بينهما وبين النصر، وهذا أحدُ ركائزِ توظيفِ التُّراثِ الدِّينيِّ،

يقول **ابن عنين** تأكيدًا علي ذلك: (٢)[بحر الطويل]

سَلُوا صَهَوَاتِ اَلْخَيْلِ يَوْمَ الوَغَى عَنَّا إِذَا جَهِلْتَ آيَاتِنَا وَالْقَنَا اللُّدْنَا
غَدَاةَ لَقِيْنَا دُوْنَ دِمْيَاطَ جَحْفَلًا مِنْ الرُّوْمِ لَايُحْصِي يَقِيْنًا وَلا ظَنَّا
قَدْ اِتَّفَقُوا رَأْيًا وَعَزْمًا وَهِمَّةً وَدِيْنًا وَإِنْ كَانُوا قَدْ اَخْتَلَفُوا لَنَا
تَدَاعُوا بِأَنْصَارِ الصَّلِيْبِ فَأَقْبَلَتْ جُمُوعٌ كَأَنَّ اَلْمَوْجَ كَانَ لَهُمْ سُفُنَا
وَأَطْمَعَهُمْ فِيْنَا غُرُوْرٌ فَأَرْقَلُوا إِلَيْنَا سَرَاهَا بِالجِيَادِ وَأَرْقَنَا
فَمَا بَرِحَتْ سُمْرُ الرِّمَاحِ تَنُوْشَهُمْ بِأَطْرَافِهَا حَتَّى اِسْتَجَارُوا بِنَا مِنَّا

(١) ديوان ابن سناء الملك،(ص٢٣٠).

(٢) ديوان ابن عنين (ص٨٩)، وينظر: الوافي بالوفيات، للصفدي (٨٧/٥).

ومنه أيضًا **قول ابن القيسراني** حين كسر الفرنج علي أبواب دمشق (سنة ٥٢٣هـ):[١]

[بحر البسيط التام]

حَتَّى إِذَا مَا أَحَاطَ الْمُشْرِكُونَ بِنَا ... كَاللَّيْلِ يَلْتَهِمُ الدُّنْيَا لَهُ ظُلَمُ

وَأَقْبَلُوا لَا مِنْ الإِقْبَالِ فِي عَدَدٍ ... يَؤُودُ حَاسِبَهُ الإِعْيَاءُ والسَّأَمُ

أَجْرَيْتَ بَحْرًا مِنْ الْمَاذِي مُعْتَكِرًا ... أَمْوَاجُهُ بِأَوَاسِي الْبَأْسِ تَلْتَطِمُ

فالتَّعبيرُ بلفظِ اَلْمُشركين يُبيِّنُ لنا تلك الحالة النفسية التي عاشوها وإحساسهم تجاه المحتلِّ؛ لذا فاستخدموا الألفاظ ذات الصِّبغةِ الدِّينيَّة للتعبير عن ذلك. ويدخل في إطاره ما قاله **أسامة بن منقذ**:[٢][بحر الطويل]

بِنَا أُيِّدَ الإِسْلَامُ وَازَّادَ عِزَّةً ... وَذَلَّ لَنَا مِنْ بَعْدِ عِزَّتِهِ الْكُفْرُ

قَتَلْنَا الْبِرِنْسَ حِيْنَ سَادَ بِجَهْلِهِ ... تَحُفُّ بِهِ الْفُرْسَانُ وَالْعَسْكَرُ الْمُجْرُ

وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ أَسَرْنَا وَكَيْفَ بِالْ ... بَقَاءِ لِمَنْ أَخْنَتْ عَلَيْهُ الظُّبَا الْبُتْرُ

فالشَّاعرُ هنا اعتبر نفسه مُدافعًا عن الإسلام بانتصارته، واعتبر نفسه جزءًا من تلك اَلْمُنقَّبة حين قتل البرنس الذي يعتبر من عُتاةِ الإجرامِ الصَّليبيي، ولذا وظَّف الشَّاعرُ هنا التراث الديني عن طريق استخدام الألفاظ الدينية اَلْمتناقضة (الإسلام، الكفر، العزُّ، الذُّلُّ)، وقد حاول أن يُبيِّنَ قيمة الفرد في المجتمعِ، وأنَّهُ قد يكون سببًا لعزَّةِ أُمَّتِهِ أو العكس، وهى دلالةٌ منطقيَّةٌ لِمَنْ يبحثُ عن الانتصارِ، فلابُدَّ له من أن يسعى ليكون الفرد جزءًا من إطار الاهتمام، لأنَّه جزءٌ من العَتَادِ الذي يُشاركُ في القِتَالِ؛ لذا فإنَّ أسامة هنا حين

---

(١) انظر: الروضتين، لأبي شامة المقدسي، (١٤٥/٢)، وعيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي (١٩٤/١).

(٢) ديوان أسامة بن منقذ،(ص٩٦).

قصد إلى توظيف تلك الألفاظ الدينية إنَّما هو يُؤصِّلُ لقيمة الفرد في المجتمع الإسلامي.

ومنه أيضًا قول **أسامة بن منقذ**:(١) [بحر الطويل]

وَلَوْلَا سُؤَالُ اللهِ عَنْ خَلْقِهِ الَّذِي رَعَيْنَاهُمْ حِفْظًا إِذَا ضَمَّنَا الْحَشْرُ
لَمَلَمْنَا عَنْ الدُّنْيَا وَقُلْنَا لَهَا اُغْرُبِي لَكِ الْهَجْرُ مِنَّا مَا تَمَادَى بِنَا الْعُمْرُ
فَمَا خَيْرَ مُلْكٍ أَنْتَ عَنْهُ مُحَاسَبٌ وَمَمْلَكَةٌ مِنْ بَعْدِهَا الْمَوْتُ وَالْقَبْرُ
فَقُلْ لِمُلُوكِ الأَرْضِ مَا الْفَخْرُ فِي الَّذِي تَعَوَّدْنَهُ مِنْ فِعْلِكُمْ بَلْ كَذَا الْفَخْرُ

ومنه أيضًا قول **ابن سناء الملك**:(٢) [بحر الخفيف]

مَلَأَ اللَّيْلَ بِالتَّهَجُّدِ حَتَّى فَاضَ عَنْهُ رُكُوْعُهُ وَسُجُوْدُهُ
كَمْ أَقَامَتْ عَلَى الْعُفَاةِ لَهَاةٌ وَأُقِيْمَتْ عَلَى اللَّيَالِي حُدُوْدُهُ
سَيْفُهُ فِي الْجِهَادِ قَلَّدَهُ الْمُلْ كُ فَتَقْلِيْدُ مُلْكِهِ تَقْلِيْدُهُ
جَعَلَتْهُ أَغْنَى الْمُلُوْكِ ظِبَاهُ إِنَّمَا مَعْدَنُ النَّضَارِ حَدِيْدُهُ
قَدَّرَ اللهُ مُلْكَهُ لَا يُبَالِي إِنْ تَنَاءَتْ أَوْ تَبَانَتْ جُنُوْدُهُ
فَالَّذِي قَرَّ مِنْهُمْ قَرَّ لَا يَكَادُ يَكِيْدُهُ وَالَّذِي فَرَّ لَا يَكَادُ يَكِيْدُهُ

*****

(١) المرجع السابق (ص٩٦).
(٢) ديوان ابن سناء الملك،(ص٢٠٠).

ثانيا :تَوْظِيْفُ التُّرَاثِ التَّارِيْخِيِّ فِي شِعْرِ الْحُرُوْبِ الصَّلِيبِيَّةِ: الْغَايَةُ وَالْهَدَفُ.

• "الشِّعرُ هو ديوانُ العربِ"(١)، والجامع لأيامهم ومفاخرهم ومأثرهم، وهناك علاقةٌ وثيقةٌ بين الشِّعرِ والتَّاريخِ، وفي أحيان كثيرةٍ يؤدِّي أحدهما دور الآخر، ويمكن أن نُسمِّي الشعر بالتاريخِ الْمنقول بالْمُشافهةِ؛ سواءً كان ذلك شعراً خالصاً أو نثراً تتخلَّله الأشعار، والشعر في كلتا الحالتين هو الذي حافظ على تناقل الخبر وانتشاره، كما كان الشعر يمثل السياق القبلي لتدوين التاريخ على حدِّ قول المستشرق مرجليوت(٢).

• وإذا نظرنا إلى الفترة التي نُعالج فيها الشعر في تلك الفترة نجدها فترةً مُضطربةً سياسيًّا، قد تُلجيء الشاعر إلى التاريخ بإحدى الوسيلتين: إمَّا هربًا من الواقع، واستنادًا إلى ماضٍ مُشرقٍ يُتذكَّرُ فيه أمجاده، وتتضاءل أمامه حقيقةُ الواقع المؤلمة، أو قد يهرب إليه؛ بحثًا عن حلٍّ لأزمته الراهنةِ، فالتَّاريخُ في تلك الفترة جزءٌ من المعالجةِ الفنيَّةِ التي لجأ إليها الشعراءُ، فالغايةُ والهدفُ هنا يرتكزُ حول البؤرة الفنية التي ينظر فيها الشاعر للتراث، وتختلفُ باختلاف نظرته الإيجابية والسلبية، فيجبُ أن ننظر قبل الحكم على تلك العلاقة – الشعر والتاريخ – إلى السياق العام الذي تسير فيه القصيدة؛ حتى نحدِّد هدفه، وقد يكون التوظيف من أجل التَّخليدِ والإحياء لذكرى حدثٍ معًا

---

(١)(الشعر ديوان العرب) مقولة نسبت لعبد الله بن عباس. انظر: كنز العمال، (١٤٢١/٣/حديث رقم: ٨٩٦١)، والسنن الكبرى،للبيهقي (٢٤١/١٠/حديث رقم: ٢٠٩١٣)، وتهذيب الآثار، للطبري (٤٣٠/٢/حديث رقم: ٥٤٧)، وغيرها.

(٢) انظر: مصادر الشعر الجاهلي، لناصر الدين الأسد (ص٣٥٣)، وتاريخ الأدب الجاهلي، لشوقي ضيف (ص١٦٦).

أو شخصية ما يراها الشاعر قدوة أو مثلًا، لذا أحبَّ أن يُخلِّدها من خلال شعره، لذا نستطيع أن نقول أنَّه توجد بين الشعر والتاريخ علاقةٌ طويلةٌ قويةٌ؛ يجب أن نكون حذرين ونحن نحكم عليها؛ لأنَّها مُعقَّدة تحتاج إلى يدٍ خبيرةٍ في الوصول إلى الهدف والغاية من هذا التوظيف. الذي حقق أهدافًا كثيرة؛ من أهمها:

- **١- إِنَارَةُ الطَّرِيق أَمَامَ الْمُجَاهِدِ العَربيِّ عَلَى أُسُسٍ مُنْبَثِقَةٍ مِنْ تَوْظِيْفِ التُّراثِ التَاريخي:**
- ومن ذلك في شعر الحروب الصليبية **قول أسامة بن منقذ:**(١) [بحر الخفيف]

إِنَّ مِصْرًا تَرَى بِهِ إِرْثَهُ الأَقْ ... دمَ حَقًّا أَثَاثُهُ مَوْجُودُ
مُلْكَهُ عَنْ أَبِيْهِ قَدْ أَكَّدَتْ ... فِيْهِ عُقُودُه وَعُهُودُهُ
مَا عَلَى إِلَّا سُلَيْمَانُه الأَعْظَمُ ... مَلِكًا وَيُوْسَفُ وَدَاوُدُ

- فالشَّاعرُ هنا قصدَ من التَّوظيفِ الْمُشابَهةَ، فهو يُريدُ أنَّ عليًّا الملك الأفضلُ، ورث هذا بالتاريخ؛ لِيُضفي قيمةً فنيَّةً علي قصيدته، تتمثَّلُ في التَّفكُّرِ في الماضي، وخلق روح المشابهة حين عقد مقارنة بسيطة بين الملك الأفضل وأبيه صلاح الدين، والنبي سليمان عليه السلام ووالده النبي داود، فقد رأي الشاعر تَماثُلَ الحالين؛ مِمَّا استدعى الحاجة إلى التوظيف التاريخي.
- ومنه أيضًا **قول ابن رزيك** للملك الصالح:(٢) [بحر الطويل]

مِنْ الْبِيْضِ مِثْلُ الصُبْحِ مَا لِلظَّلَامِ فِي ... مَحَاسِنِهَا لَوْلَا ذُوَائِبُهَا قِسْطُ
إِلَى الْعَرَبِ الأَمْحَاضِ عَزَّي قَبْلَهَا ... وَقَدْ ضَمَّهَا فِي الْحُسْنِ مَعَ يُوْسُفَ سِبْطَ

(١) ديوان أسامة بن منقذ، (ص١٢٥).
(٢) ديوان طلائع بن رزيك،(ص١٠٥).

وَلَمَّا غَـدَتْ كَالْعَـاجِ زَيَّـنَ صَـدْرَهَا بِحُقَّـيْنِ مِنْـهُ قَـدْ أَجَادَهُمَـا اَلْخَـرْطُ

• فالشَّاعرُ هنا قصد من توظيف الشخصية التاريخية اَلْمُشابَهة في الحُسْنِ والجَمَالِ، فمِنْ الثَّابتِ عُرْفًا وتاريخاً أنَّ سيدنا يوسف عليه السلام يملك نصفَ جمالِ الأرضِ، لذا شبَّه بذلك؛ لأنَّ غايته هنا اَلْمُشابهة واَلْمُبالغة.

• **٢-إِحْيَاءٌ لأخلاق المُجَاهِدِ العربيِّ المُنبثقَةِ منْ المَوروثِ التَّاريخيِّ:**

• ومنه قول **أسامة بن منقذ**:[١] [بحر البسيط]

خُلُقٌ تَحلَّى بِهِ سلْمَانُ بَيْنَكَ مِـنْ أَخْلَاقِكَ اَلْغُرِّ يَا ذَا اَلْبَأْسِ وَالـنِّعَمِ
مَوْلِى عُلَاكَ وَكَمْ قَدْ عَـادَ شَـائِهُهُ بِبَأْسِهِ مِنْ مُلُوْكِ اَلْعُرْبِ وَالْعَجَـمِ
يُقَرِّبُ اَلْمُلْكَ لِلْمَلِـكِ الَّـذِي نَشَـر اَلرَّحْمَنُ أَيَّامَهُ ظِلًّا عَلَـى اَلأُمَـمِ

• فسلمان هو سلمان الفارسيرضي الله عنه، وقصته مشهورةٌ في الوفاءِ والصِدق، حيثُ مِمَّن ينطبقُ عليهم قوله تعالى:﴿**مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَاهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ**﴾[٢]، فالتَّوظيفُ جاءَ هنا من باب اَلْمُشابهةِ في الوصفِ، فأضفى جلالًا وهيبةً على شخصيَّةِ اَلْممدوحِ.

• ومن ذلك أيضًا **قول ابن الساعاتي**:[٣][بحر المتقارب التام]

أَتَـانِي كِتَابُـكَ يَـابْنَ اَلْكِـرَامِ فَأَهْـدَى اَلنَّفِـيْسَ جَلِيْلًـا نَفِيسَـا
سَـكَرْتُ بِأَلْفَاظِـهِ اَلرَّائِقَـا كَـأَنِّي شَـرِبْتُ اَلْخَنْدَرِيسَـا
وَمَـا كُـلُّ كَاتِـبٍ فَاضِـلٍ سِـوَاكَ يَطْلَعُ فِـي جُـنْحِ لَيْـلٍ شُمُوْسَـا
وَإِنْ أَمَّ ذُو اَلتِّيْـهِ وَادِي هُـدَاهُ أَمْ آنَسَ مِنْ فِكْـرِهِ نَـارَ مُوْسَـى

(١) ديوان اسامة بن منقذ،(ص١٥٨).
(٢) سورة الأحزاب ، الآية (٢٣) .
(٣) ديوان ابن الساعاتي (ص١٦٩).

• فابن الساعاتي يَسكرُ من عذوبةِ ألفاظِ هذا الكتاب،كأنَّهُ شربَ الخمرَ اَلْمُعتَّقة، فمعانيه خمرٌ تحلُّ كؤوسًا من الحروف، وهذا الكاتب بارعٌ جدًّا يفوقُ غيره، فكتاباته شموسٌ تضيءُ العَتمةَ، وقد شبَّه الشَّاعرُ فِكْرَ الكاتبِ بالنَّارِ التي ظهرت لموسى عليه السلام في اتِّقادِ فكره، وفي سرعة الانتشار.

• **٣- خَلْقُ رُوْحِ اَلْمُشَابَهَةِ بَيْنَ اَلْمَاضِي وَالْحَاضِرِ فِي اَلثَّبَاتِ وَالإِقْدَامِ:**

• ومنه **قول الشاغوري:**(١)[بحر الطويل]

كَأَنَّ عَصَا مُوْسَى يُرَاعِي وَحَاسِدِي عَلَى نَظْمِهَا فِرْعَوْن والكَلِمُ السِّحْرُ
لَهَا فُلِقَ اَلْبَحْرُ اَلْخِضَمُّ نَفَاسَةً وَأَخْفَى رُؤُوْسًا بَيْنَ أَصْدَافِهِ الدُّرُّ
وَمَنْ كَانَ مِثْلِي ثُمَّ كُنْتُ لَهُ أَبًا وَقَصَّرَ عَنْ شَأْوٍ فَلْيَلْمَس لَهُ عُذْرَا

• فالشَّاعرُ هنا أضفى قيمةً فنيَّةً باستدعائه قصة موسى عليه السلام، فقلمُهُ عصا موسى، وكلماتُهُ السِّحرُ، أمَّا حاسدُهُ فهو فرعونُ الذي كان يعدُّ اَلْمَكائدَ للقضاءِ عليه، ولكنَّ الغَلَبَةُ لم تكن له. فالشَّاعرُ هنا استغلَّ الحدث التاريخي لاجتذابِ اَلْمتلقي بشيء من عقيدته الإسلامية، عن طريق إثارة الجانب الديني، ليحقِّقَ عنصرَ الجَذْبِ، فالتَّاريخُ دائمًا وأبدًا مصدرُ تشويقٍ، فالقيمَةُ الفنيَّةُ للحَدَثِ التاريخي؛ تتركز في تكيف التاريخ لمعالجة قضية ذاتية لدى الشاعر.

• ومن ذلك أيضًا **قول الشاغوري:**(٢)[بحر الرمل المجزوء]

لِلسَّعِيْدِ اَلْمُجْتَبَى فَضْ لٌ عَلَى كُلِّ عَدِيْمِ
جَمَعَ اَلْعَالَمَ طُرًّا مِنْ غَنِيٍّ وَعَدِيْمِ
دَعْوَةٌ قَدْ أَشْبَهَتْ دَعْوَةَ نُوْحٍ فِي اَلْعُمُوْمِ
لَمْ يَكُنْ يخلصُ فَيْمَا بِيْنَنَا النَّسِيْمِ

(١) ديوان فتيان الشاغوري،(ص١٠٥).
(٢) المرجع السابق،(ص١٢٣)،

• ومن القِيَمِ الفنيَّةِ أيضًا لتوظيف التراث التاريخي التخليدُ، فقد يُركِّزُ الشَّاعرُ على شاعرٍ مثيله، ومن ذلك قول **ابن سناء الملك**:(١)[بحر الطويل]

و يَذْكُرُ مِنِّي الْبُحْتُرِي نَسِيْمَه وَيَذْكُرُ مِنِّي اِبْنُ اَلْمُفَرَّغِ بُرْدَهُ

وَلله وَعْدٌ فِي زِيَادَةِ مُلْكِـــهِ فَلَا تَحْسَبَنَّ اَللهَ يُخْلِفُ وَعْدَهُ

• فنحنُ نجدُ هنا ترابطًا بين التَّوظيفِ الدِّيني والتَّاريخي؛ ليضفي قيمةً فنيَّةً علي النَّصِّ، وكأنَّهُ يصبُو إلى بلوغِ الكمال، عن طريق هذا التوظيف، من خلال إحياء الدين من جانب وتخليد الشخصية التاريخية من جانب آخر. ومن هذا الضرب أيضًا قول **فتيان الشاغوري**:(٢)

• [بحر الوافر التام]

وَإِنَّ اَلْمُنْشِـــدَ اَلْكِنْـــدِيَ بَيْتًـــا كَمَنْ أَهْـدَي إِلَـى هجـر التُّمُـورَا

وَهَا أَنَـا مُطْـرِقٌ مِنْـهُ حَيَـاءً وَلَـوْ كُنْـتَ اَلْفَـرَزْدَقَ أَوْ جَرِيْـرَا

شَأَوْتَ النَّاسَ فِي دَرْكِ اَلْمَعَـالِي فَلَـمْ تَنْظُـرْ لَـكَ الـدُّنْيَا نَظِيْـرَا

• وقد يعمدُ الشَّاعرُ إلى حشدِ الكثيرِ والكثيرِ من الشَّخصيَّاتِ التُّراثيَّةِ، وكأنَّهُ يشعرُ بتلك القيمَةِ الفنيَّةِ التي أضفاها التاريخ علي النَّصِّ الأدبي؛ بهدف التَّخليدِ، ومنه **قول ابن سناء الملك**: (٣)[بحر الطويل]

---

(١) ديوان ابن سناء الملك،(ص٢٦١).

(٢) ديوان فتيان الشاغوري،(ص٢٣٥).

(٣) ديوان ابن سناء الملك،(ص٣٦٩).

هَنِيئًا لَقَدْ أُوتِيْتَ سُؤْلَكَ يَـا مُوْسَـى بِجَدٍّ وَحَدٌّ كَلِمَـةِ الـدَّهْرِ مَـا يُوْسِـى
هُوَ الْبَحْرُ لَوْلَا الْبَحْرُ فِيْـهِ مُلُوْحَـةٌ هُـوَ اللَّيْـثُ لَوْلَـا أَنَّ اللَّيْـثَ تَعْبِيْسَـا
هُوَ الْخِضْرُ الْمَشْهُوْرُ نَشْرًا وَسُؤْدَدًا وَيُوْسُفُ حُسْنًا وَأَلَق مُوْسَى تَجِدْ مُوْسَا
بِحَمْـدِهِ عِيْسَـى عَلَـى فَتَكَاتِـهِ بِجَحْفَلِـهِ فِـي أُمَّـةٍ عَبَـدَتْ عِيْسَـى
وَمَا زَالَ يُرْضِي اللهَ سِـرًّا وَجَهْـرًا وَيُسْخِطُ فِـي كُـلِّ الْمَـوَاطِنِ إِبْلِيْسَـا

٤- نُصْرَةٌ لِلْمُجَاهِدِ فِي الْحَاضِرِ فِي إِطَارِ تَخْلِيْدِ الشَّخْصِيَّةِ الْمُجَاهِدَةِ فِي الْحَاضِرِ كَمَا خُلِّدَتْ فِي الْمَاضِي:

• ومن هذا الحشد أيضًا الذي يجمع بين الأحداث التاريخية والشخصيات التاريخية والتراث الديني في تناغمٍ واضحٍ، يبدُو فيه الشَّاعرُ كأنَّهُ يُسقطُ على قصيدته الكثيرُ والكثيرُ من الطَّرافةِ والجِدَّةِ، حيثُ يقول **ابن سناء الملك**:(١)[بحر الطويل]

وَلَوْ لَمْ تَهُزَّ الْجِذْعَ مَرْيَمُ لَمْ تَذُقْ مِنْ الرُّطَبِ الْحُـلْوِ الجَنِي الشَّهْدِ
كَذَلِكَ مُـوْسَى أَتبع الله بالعَصَا لَهُ الْمَاءُ بَعْدَ الضَّرْبِ مِنْ حَجَرٍ صَلْدِ

• فالشَّاعرُ وظَّفَ الحَدَثَ التَّاريخيَّ هُنَا ليؤكِّدَ ضَرورةَ السَّعي الحثيثِ مِنْ أجلِ تحريرِ الأرضِ، وقد أسقطه على عصره؛ من أجل حثِّ الْمُجاهدين على الإسراعِ لتحرير الأرض ولاسيما المسجد الأقصى.

ومنه قول **ابن القيسراني**:(٢)[بحر البسيط]

حَتَّى تَعُوْدَ ثُغُوْرُ الشَّامِ ضَاحِكَةً كَأَنَّمَا حَلَّ فِي أَكْنَافِهَا عُمَرُ

(١) ديوان ابن سناء الملك،(ص٢٨٩).

(٢) انظر: الروضتين، لأبي شامة المقدسي(١٦٩/٢)، وعيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي (١٢٢/١)، والدولة الزنكية، للصلابي (ص١١٦).

• فهو يقرنُ شخصيةَ مَمْدُوحِهِ عماد الدين بشخصية عمر بن الخطابﷺ، ويُشيرُ إلى طبيعة الصراع بين المسلمين والصلَيبيين، إلى أنَّ انتصاراتِ اَلْممدوحِ هي امتدادٌ لمعارك الإسلام وملاحمه الكبري السابقة، وسيدنا عمر بن الخطاب هو خيرُ مَنْ يُمثِّلُ الشَّخصيَّاتِ التَّاريخيَّةَ ويُخلِّدُهَا.

• وقد جاءت الصورة الفنية هنا إيجابيَّةً، وامتزج فيه التَّاريخُ لِيؤكِّدَ تخليدَ حدثٍ تاريخيٍّ من أجل تخليد لحظةٍ راهنةٍ.

• ومن ذلك أيضًا رسم صورة للعدو الصليبي، فهو يستخضرُ قِصَّةَ هَلَاكِ ثمود لِيصوِّرَ من خلالها هزيمةَ الفرنْجَة؛ ومالحق بهم وبحصنهم من دمارٍ وتخريبٍ، فيقولُ:(١)[بحر الطويل]

وَعَارِمٌ يَوْمًا بِالْعَرِيْمَةِ فَاغْتَدَتْ كَوَادِي ثَمُوْدَ إِذَا رَغَا فِيْهِ سَقَبُهُ

• ويبدو الحدثُ التاريخي هنا ممتزجًا مع الواقع المعاصر حتى انصهرا معًا، وكوَّنَا وضعًا جديدًا؛ يكادُ ينطقُ، ويُناشدُ هؤلاء اَلْمُجاهدين اَلْمُتقاعسين من أجل دَحْرِ تلك الهزيمةِ اَلْمُنكرةِ، وإبعادها عنهم، فجاءَ التَّاريخُ هنا للعِبْرَةِ والتَّذكرَةِ، وكأنَّما خُلِّدت أحداثه؛ من أجل دفعهم وحثِّهم علي اَلْمُضي قُدمًا، وكأنَّ التَّاريخَ بالنِّسبة لهم هو مصدرُ الإمدادِ والقُوَّةِ، بل هو مُحاربٌ معهم، يَمدُّهم بالوَسَائلِ والطُّرُق.

---

(١) انظر: الروضتين، لأبي شامة المقدسي، (١٧٠/٢)، وعيون الروضتين، لأبي شامة المقدسي (٢٥١/١).

الخاتمة

يمكننا أنَّ نقولَ أنَّ التَوْظِيْفَ التَّاريخِي والديني لم يكنْ توظيفًا مَحضًا، ولم يكُنْ مُجرَّدَ حُلِيٍّ أو زخارف زُيِّنَتَ به القصائد، وإنَّما أدَّى دورَ اَلْمُسانِدِ والمُساعِدِ لأولئك المُجاهدين الذين كانوا يسعون من أجلِ تحريرِ بلادِ المسلمين، فالتَّوظيفُ التَّاريخيُّ، والتَّوظيفُ الدِّيني؛ (سواءً بالألفاظِ أو الأماكنِ أو العَقَائِدِ) إنَّما جاء لِخِدْمَةِ قضيَّةٍ واحدةٍ، وهي الجِهَادُ، وهذا أمرٌ طبعيٌّ، يجبُ أنْ نتقبَّلَهُ؛ لأنَّهُ يتماشَى مع طبيعةِ اَلْمَرْحَلَةِ التي عايشوها، وقد تعدَّدتْ الرَّوَافِدُ والفُرُوعُ التي تُثمرُ في النِّهايَةِ شَكْلَ التَّوظيفِ اَلْمُتكامِلِ الذي يخدمُ قضيَّةً، ولا يأتي لِمُجَرَّدِ التَّوظيفِ الشَّكلي، وإنَّما كان كُلُّ توظيفٍ فِي كُلِّ بيتٍ؛ لتحقيق هدفٍ ما، يرمي إليه الشَّاعرُ، وتعدَّدت تلك الأهدافُ باختلافِ القضايا، وإنْ كانَتْ جميعًا تصبُّ في مَصَبٍّ واحدٍ، وهُوَ خِدْمَةُ القضيَّةِ اِلْجِهَادِيّةِ.

اَلْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ

١. **اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطمين الخلفاء،** للمقريزي، تحقيق: جمال الدين الشيال، ومحمد حلمي،لجنة إحياء التراث الإسلامي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية،القاهرة، ط١، د.ت.

٢. **الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام** ، لأحمد بدوي، دار نهضة مصر ، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٩م.

٣. **ديوان ابن الساعاتي،** تحقيق:أنيس المقدسي، منشورات كلية الآداب، الجامعة الأمريكية، بيروت، ١٩٣٨م.

٤. **ديوان طلائع بن رزيك،** جمع وتحقيق: أحمد بدوي، مطبعة الرسالة، القاهرة،د.ت.

٥. **ديوان ابن سناء الملك**،تحقيق: محمد إبراهيم نصر، وحسين محمد نصار، الهيئة العامة لقصور الثقافة،القاهرة، د.ت.

٦. **ديوان ابن عنين،** تحقيق: خليل مردم بك، دار صادر، بيروت، ١٩٤٦م.

٧. **ديوان ابن منير الطرابلسي،** تقديم: عمر عبد السلام تدمري، دار الجيل، بيروت، د.ت.

٨. **ديوان، أسامة بن منقذ،** تحقيق د. أحمد بدوي، وحامد عبدالحميد، ط٢،عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣م.

٩. **ديوان العماد الأصبهاني،** جمعه وحققه: ناظم رشيد، وزارة الأوقاف، الموصل، ١٩٨٣م.

١٠. **ديوان فتيان الشاغوري**،تحقيق: أحمد النجدي،مطبوعات مجمع اللغة العربية، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٧٦م.

١١. **الروضتين**، لأبي شامة، مطبعة وادي النيل، القاهرة، د.ت، ومؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

١٢. **صلاح الدين الأيبوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية**، لمحمد علي الصَّلاَّبي، دار المعرفة، القاهرة، ٢٠٠٨م.

١٣. **عيون الروضتين**، لأبي شامة المقدسي، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ٢٠١٢م.

١٤. **فوات الوفيات**، لمحمد بن شاكر الكتبي، تحقيق: إحسان عباس، دارصادر، بيروت، الطبعة الأولي، د.ت.

١٥. **مصادر الشعر الجاهلي**، لناصر الدين الأسد،دار المعارف، القاهرة،ط٧، ١٩٨٨م.

١٦. **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، لابن تغري ، وزارة الإرشاد القومي، دار الكتب، مصر،د.ت.

١٧. **النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية**، لعمارة اليمني، اعتنى تصحيحه: هرتويغ درنُبرغ ، مطبعة مَرْسَوْ بمدينة شالَوْن – باريس، ١٨٩٧م.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	٢٢٨٨
٢-	Abstract	٢٢٩٠
٣-	مقدمة	٢٢٩٢
٤-	أولا توظيف التراث الديني في شعر جهاد الحروب الصليبية،	٢٢٩٥
٥-	ثانيا :تَوْظِيْفُ التُّرَاثِ التَّارِيْخِيِّ فِي شِعْرِ اَلْحُرُوْبِ الصَّلِيبِيَّةِ: اَلْغَايَةُ وَالْهَدَفُ.	٢٣٠٨
٦-	الخاتمة	٢٣١٥
٧-	اَلْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ.	٢٣١٦
٨-	فهرس الموضوعات	٢٣١٨

تم بحمد الله